أول قتل للنفس التي حرم الله بغير حق / ١

الخطبة الأولى ١٤٢٤/١٠/١٨هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:فإن قتلَ النفس التي حرم الله بغير حق كبيرةٌ من كبائر الذنوب معلومة لدى كل مسلم، والاستهانة بالدماء وإزهاق الأرواح بلغت ذروتها في العالم كله بين المسلمين والكفار على حد سواء واختلطت المفاهيم وكثر الهرج الذي هو القتل كما ورد في الخبر عن سيد البشر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بأن ذلك من علامات الساعة ويكون ذلك بين المسلمين أنفسهم وفي مجتمعاتهم حتى لا يدري القاتل لماذا قتل صاحبه؟ ولا المقتول أيضاً فِيمَ قُتِلَ ؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**لا تقوم الساعة حتى يكثر الْهَرْجُ**)) قالوا:وما الهرج يا رسول الله؟ قال:((**القتل القتل**)).رواه الإمام مسلم رحمه الله، وفي رواية للإمام البخاري رحمه الله عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:((**بين يدي الساعة أيام الهرج: يزول العلم ويظهر فيها الجهل**)) قال أبو موسى:والهرج:القتل بلسان الحبشة. وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**إن بين يدي الساعة الهرج**))قالوا:وما الهرج؟ قال:((**القتل**)) قالوا: أكثر مما نقتل؟ إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً، قال:((**إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً**))

قالوا:ومعنا عقولنا يومئذ، قال:((**إنه ليترع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنه على شيء وليسوا على شيء**)). صحيح الجامع الصغير ومسند أحمد وسنن ابن ماجة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قَتَل، ولا المقتول فيم قُتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار**)).رواه الإمام مسلم رحمه الله، فأمام هذه الفتن والأحداث الراهنة التي تعصف بالعالم أجمع وأمام الاستهانة والاستخفاف بالدماء البريئة بين بني البشر وبين المسلمين خاصة كان لا بُدَّ من الإشارة إلى أول جريمة قتل في هذه الحياة الدنيا وقد ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم في آيات تتلى إلى قيام الساعة، وبعد ذكر ما يتعلق بهذه الآيات البينات تأتي الخطب التي أريد الوصول منها إلى النتائج ومعرفة الأسباب والدوافع ومعالجة ذلك بإذن الله عز وجل. إن الواجب على المسلم أن يؤمن إيماناً مطلقاً بما ورد في القرآن الكريم سواء عرف وعلم سبب نزول أي آية أو لم يعلمها لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم،ولأننا غير مُتَعَبَّدِينَ ومُلْزَمِينَ بأن نَطَّلِعَ على أسباب النزول لكل آية ونُحَقِّقَ فيها ونُطِيلَ الكلام عنها مع أنها غير ثابتة بحديثٍ صحيحٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،ومالم يكن وارداً وثابتاً بسنةٍ صحيحة فليس من المفيد إطالة الوقوف عنده وأمامه لأنه لا يؤثر على إيمان المسلم وعقيدته أبداً، ومن ذلك قصةُ ابْنَيْ آدم التي ذُكِرَتْ في القرآن الكريم سواء كان سبب قتل

أحد ابني آدم لأخيه لعدم رغبته في تزويج أخته لأخيه لِلْوَضَاءَةِ والدَّمَامَةِ في البنتين أو لغير ذلك من الأسباب، وإنما المقصود هو معرفة الدوافع والأسباب المشتركة بين الناس والنتائج والأحكام المترتبة من وراء هذه القصة الواردة في كتاب الله عز وجل، فالقصة تبيِّن وَخِيمَ عاقبة الحسد والظلم والبغي والعدوان في خبر ابني آدم سواء كان اسماهما صَحِيحَيْنِ أو لا، كما ورد في الروايات المتداولة بأنهما(قابيل وهابيل).فالمقصود أن أحدهما عدا على أخيه وقتله بَغْياً وحسداً له فيما وَهَبَهُ الله من النعمة وتَقَبَّلَ الْقُرْبَانَ الذي أخلص فيه النية لله عزّ وجلّ، وأوضح الله تبارك وتعالى ذلك الإخلاص والتقوى في الآية نفسها وفي الآية الأخرى التي حَجَزَ فيها نفسَه وتَوَرَّعَ عن الإقْدَامِ على قتل أخيه، ففاز المقتول بوضع الآثام عنه والدخول للجنة، وفي المقابل خاب القاتل وخسر الدنيا والآخرة وتحمّل الآثام ودخول النار نتيجة الحسد والظلم والطغيان،قال الأخ الصالح الذي تقبل الله قربانه لإخلاصه وتقواه حين توعده أخوه وهدّده بالقتل بغير حق إنما هو الظلم والعدوان نتيجة الحسد الناتج عن عدم قبول قربانه وفي المقابل قبول قربان الأخ الصالح قال معبّراً عن ذلك: بأنه لن يقابله على عدوانه وظلمه بمثله في الخطيئة والإثم وإنما سوف يصبر ويحتسب ورعاً وخوفاً من الله عز وجل ومن أليم عقابه، فجاء ذلك الموقف في القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى:((۞ **وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ**

لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾)).[المائدة٢٧-٢٩]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**)) قالوا:يا رسول الله،هذا القاتل.فما بال المقتول؟ قال:((**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**)).البخاري ومسلم رحمهما الله واللفظ للبخاري.ذكر الإمام أحمد رحمه الله عن بشر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان:[أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي**)) قال: أفرأيت إنْ دخل علي بيتي فبسط يده إليّ ليقتلني؟ فقال:((**كُنْ كابن آدم**)).قال أيوب السختياني:إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة((لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين)).لِعُثْمَان بن عفان رضي الله عنه].رواه ابن أبي حاتم.قال تعالى:((**فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾**)) [المائدة:٣٠]. أيْ سَوَّلَتْ له نفسُه وحَسَّنَتْ ذلك وشجعته على قتل أخيه فقتله رغم أن أخاه قد وعظه وذكّره بعاقبة ذلك ولكنه لم يرتدع عن الإقدام على قتله فأصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولأنه أول من سنّ القتل فهو يتحمل جزءاً من كل نفس تقتل بغير حق. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا تُقْتَلُ نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفْلٌ من دمها لأنه كان أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القتل**)).رواه الجماعة سوى أبي داوود.

وهذا الحديث الذي ورد بعدة روايات هو الذي جاء حول هذه الآيات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يرد سوى ذلك حول القصة. ولأن هذا كان أول قتل وأول نفس تموت فلم يعرف ابن آدم الأول كيف يدفن أخاه، فبعث الله عز وجل غُرَابَيْنِ فاقتتلا فقتل أحدُهما صاحبَه ثم حفر له في الأرض وحَثَى عليه التراب فلما رأى وشاهد التطبيق العملي أمامه قام بحفر الأرض ثم دفن أخاه فيها، قال الله تعالى:((**فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾**))[المائدة :٣١].

أول قتل للنفس التي حرم الله بغير حق / ١

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أحمد ربي وأشكره وأثني عليه الخير كله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه.

أما بعد:فإن المسلم عندما يعيش مع القرآن لفهم معانيه ومقاصده يزداد إيمانه يوماً بعد يوم خاصة عندما يدرك جمال الربط الإلهي بين تلك الآيات القرآنية وذلك التناسق الجميل بين الآيات جميعها وفي الآية نفسها في أولها وآخرها وبين ثناياها،وعندما يستطيع الربط بين الآيات القرآنية في مواضع مختلفة وبين صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يصل مرتبة

عالية من الإيمان والفهم والإدراك لهذا الهدى والرحمة الواردة في دين الإسلام، علماً بأنَّ الْجَمْعَ بين الآيات والأحاديث يغيب عن كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم سواء طلاب العلم أو غيرهم حتى وصل ذلك الغياب إلى من يُشَارُ إليه بالْبَنَانِ ويوصف بأنه من العلماء حيث أخذ بعض النصوص للاستشهاد بها وترك بعضها أو كثيراً منها مع كل أسف. قال تعالى:((**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠**))[الإسراء:٩،١٠]. فأقول بأن الآية التالية مرتبطة بالآيات الخمس التي سبقتها وهي كذلك مرتبطة بالآيات السابقة لها أيضاً وبما بعد هذه الآيات في تناسق عجيب وبيان أحكام ثابتة في هذا الدين الإسلامي العظيم، فلما كان السياق القرآني الكريم في الحديث عن يهود بني النضير الذين همّوا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إليهم وكانت منهم تلك المكيدة التي نجّاه الله منها لبيان عاقبة جريمة القتل وإظهاراً لموقفه الشريف و لم يقتلهم وكان كخير ابني آدم فقال الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم:((واتل عليهم نبأ ابني آدم)) إلى آخر تلك الآيات التي لم يكن يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بما كتب الله على بني إسرائيل ولا بما هو موجود في التوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، و لم يكن يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهما إلا بما علمه رب العزة والجلال وأنزله عليه وحياً يتلى إلى يوم القيامة إثباتاً لرسالته عليه الصلاة والسلام وأنه

كان أمّيّاً لا يعرف القراءة والكتابة وليس مطّلعاً على ما في كتب السابقينكما جاء ذلك في عدة آيات قرآنية، ومنها: قول الله عز وجل: ((وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾)). [العنكبوت:٤٨، ٤٩].

جاء بعد تلك الآيات التي أخبر الله فيها عن قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً بأنه عز وجل شرع وأوجب على بني إسرائيل بعد أن أعلمهم أنّ من قتل نفساً بغير سببِ قصاصٍ أو فسادٍ في الأرض واستحلّ قتلها بدون سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها بمعرفة حرمتها ولم يقدم على قتلها أو أحياها لّما استوجبت القتلَ فَعَفَا عنها وتركها وذلك للتنفير لهم من القتل والإصرار عليه وارتكابهم له، وقد أقدم بنو إسرائيل على قتل الرسولين الكريمين زكريا ويحيى عليهما السلام وهَمُّوا بقتل الرسولْين العظيمْين من أولي العزم وهما:عيسى عليه الصلاة والسلام ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:((مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾)).[المائدة:٣٢]. وبعد هذه الآية التي جاء فيها شدة العقوبة على اليهود حول جريمة القتل والفساد في الأرض لكسر حِدَّةِ جُرْأَتِهِمْ على القتل والإفساد في الأرض جاء الحكم الإلهي القطعي الصارم في الآية التي تليها لمن يحارب الله ورسوله بالكفر

بعد الإيمان والقتل والسلب بعد الأمان وترويع الآمنين وقطع الطرق وأخذ الأموال والاعتداء على الحرمات والأعراض بأن جزاءه ما ورد في الآية القرآنية التالي ذكرُها والتي أعقبها بالترغيب في التوبة وعدم إيقاع العقاب لمن تاب وأناب قبل أن يُقْدَرَ عليه من قِبَلِ البشر، والترغيب في التوبة والإنابة من كل ذنب مهما عظم فعله وكان من كبائر الذنوب جاء في آيات كثيرة منها: هذه الآية، قال تعالى:((إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣٤)). [المائدة:٣٣، ٣٤].ومنها الآيات التي جاءت بعد آيتين عن السارق والسارقة وعن المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار وعن الشرك ودعوة غير الله وقتل النفس التي حرم الله والزنا الوارد في سورة الفرقان ثم مجيء تلك الآيات المحكمة، قال الله جل جلاله: ((إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠)) [الفرقان:٧٠]، وتلك الآيات العظيمة في سورة الزمر وغيرها:((قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤)).[الزمر:٥٣، ٥٤]٠وهناك وقفات في خطب قادمة بإذن الله عز وجل حول هذه الآيات وما يتعلق بقتل الإنسان لنفسه ولغيره وحول الأحداث الراهنة والأسباب والدوافع والعلاج إن شاء الله تعالى ولو أنه

حصل الكلام بعموميات في خطب سابقة.وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله.